

أعضاء البيان

@ 227 @ أصحاب الكهف من نومتهم الطويلة ليتساءلوا بينهم ، أي ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة لبثهم في الكهف في تلك النومة ، وأن بعضهم قال إنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، وبعضهم رد علم ذلك إلى الله جل وعلا .

ولم يبين هنا قدر المدة التي تساءلوا عنها في نفس الأمر ، ولكنه بين في موضع آخر أنها ثلاثمائة سنة بحساب السنة الشمسية ، وثلاثمائة سنة وتسع سنين بحساب السنة القمرية ، وذلك في قوله تعالى : { وَلَآبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَّةٍ سِنِينَ وَآزْدَادُواْ تِسْعًا } كما تقدم . قوله تعالى : { فَآبَعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَآذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَنظُرُواْ إِلَيْهِمْ هَآ أَزْكَى طَعَامًا فَلَا يَأْتِكُمْ بَرْرٌ زَقِيٍّ مِّنْهُ } . في قوله هذه الآية (ازكى) قولان للعلماء . .

أحدهما أن المراد بكونه (أزكى) أطيب لكونه حلالاً ليس مما فيه حرام ولا شبهة . .
والثاني أن المراد بكونه أزكى أنه أكثر ، كقولهم : زكا الزرع إذا كثر ، وكقول الشاعر :
والثاني أن المراد بكونه أزكى أنه أكثر ، كقولهم : زكا الزرع إذا كثر ، وكقول الشاعر
: % (قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة % وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب) % .
أي أكثر من ثلاثة . .

والقول الأول هو الذي يدل له القرآن ، لأن أكل الحلال والعمل الصالح أمر إيجابي المؤمنين كما أمر المرسلين قال : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً } ، وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } . ويكثر في القرآن إطلاق مادة الزكاة على الطهارة كقوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } ، وقوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } ، وقوله : { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } ، وقوله : { فَأَرَادُوا أَنْ يَنْبِذُوا لَهُمْ حَصَصَاتِ الْيَتَامَى } ، وقوله : { وَأَقْرَبَ رُحُمَاءُ } ، وقوله : { أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ } ، إلى غير ذلك من الآيات .

فالشك في هذه الآيات ونحوها : يراد الطهارة من أدناس الذنوب والمعاصي ، فاللائق بحال هؤلاء الفتية الأخيار المتقين أن يكون مطلبهم في مآكلهم الحلبة والطهارة ، لا الكثرة . وقد قال بعض العلماء : إن عهدهم بالمدينة فيها مؤمنون يخفون إيمانهم ،